الإعلام الديني والجماهير على مواقع التواصل الإجتماعي

تعد قضية الخطاب الديني في عصرنا الحالي وممارساته الإعلامية من أخطر القضايا التي تشغل بال الكثيرين من الباحثين أو حتى الأشخاص العاديين الذين يتابعون البرامج على الفضائيات والمواقع الإلكترونية ويتأثرون وينفعلون لما فيها من تجاوزات على كل المستويات، ففي عصر الكره والقبح الذي نعيشه حاليًا تختفي قيم الجمال والحب بين الناس ونفتقد قبول الآخر والتعامل بأخلاقيات الحوار واحترام الاختلافات في الفكر والرأي، وسنركز في تلك الورقة البحثية على دور التكنولوجيا الرقمية ومنها الوسائط الاجتماعية من خلال المواقع الإلكترونية والصفحات الاجتماعية والقنوات الرقمية للإعلام الديني.

فـأدوات الإعـلام الجديـد، فهي بمثابـة تطـور طبيعـي للأسـاليب التقليديـة والتي تفـرض سـنن الحيـاة والواقـع والحاجـة البشـرية تطورهـا لـتلائم وتواكـب مجريـات الحيـاة المعاصـرة والسـريعة والجديدة؛ ومن هنا تكمن العقبات والنتائج من التخلف عن ركب الحضارة والتقدم في المجال الشبكي للربط بين الأفراد والجماعات والمؤسسات على مستوى العالم، ففي هذه الحالة سنخرج من القطار السريع للمعرفة وعند العودة لن نجد مكاننا لأن هناك من ينتظرون أن تترك لهم هذا المكان.

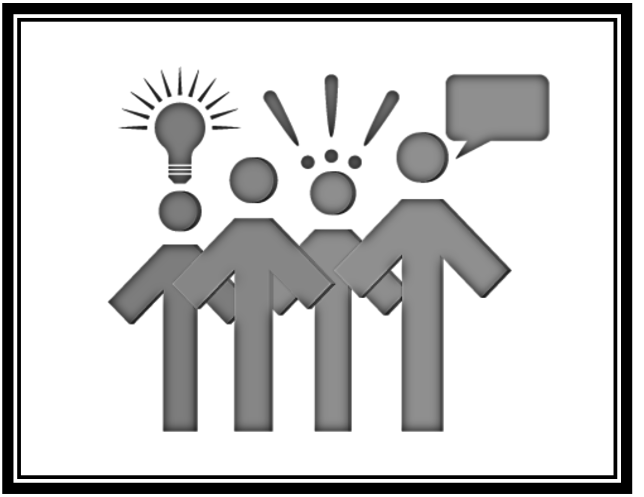

ماهية الإعلام الديني:

يعتقد الكثيرون أن الإعلام الديني هو القنوات المتخصصة الدينية الإسلامية التي تبث عبر الفضائيات والمواقع الإلكترونية فقط، وهنا يجب التأكيد على أنه أوسع من ذلك بكثير فيشمل البرامج الدينية التي تبثها القنوات العامة، كما لا يقتصر فقط على القنوات الدينية الإسلامية التي تعبر تيارات الإسلام السياسي أو السلفية بمختلف اتجاهاتها وإنما أيضا القنوات الشيعية، وإنما يمتد أيضًا للقنوات المسيحية، كما يشمل ما يبث عبر القناة على الهواء والموقع الإلكتروني ومواقع التواصل الاجتماعي فهو منظومة متكاملة.

الإعلام مرآة العصر:

في عصر مليء بالصراعات الطائفية والاستقطابات الفكرية تختفي العديد من قيم الحوار ويأتي الإعلام كانعكاس حي لما يحدث بين الأفراد في المؤسسات والتعاملات اليومية، كما تنعكس الفوضى الفكرية والسياسية والدينية على معظم البرامج الإعلامية، سواء بتسييس كثير من الأفكار لخدمة مصالح جمعيات وأفراد ورؤوس أموال أو الهجوم المتزايد كجزء من صراعات دينية قديمة تقوم في أغلبها على تفسيرات خاطئة للدين أو تطبق قياسات لأحداث وشخصيات لم تعد موجودة، وتحاول من خلال ذلك تغذية الصراعات والنزاعات الإقليمية التي تهدد الأمن القومي.

وقد استغل الإعلام في الفترة الأخيرة وخصوصًا بعد ثورات الربيع العربي التي أتاحت دخول كتل بشرية جديدة لم تكن ظاهرة

الرأس وإنما تختفي دائما وتعمل في سرية مع أتباعها، فقامت مثلاً قوى الانغلاق والنقل الحرفي لتراث السلف - التي ترفض أي تجديد واتباع ما جاء به الأقدمون مع نبذ أي فكر جديد سواء أكان واردًا من حضارات أخرى أو نابعا من داخل ثقافتنا وكانت دائما بالمرصاد لكل محاولات التطوير وملاحقة الزمن المتغير – بإنشاء قنوات تحت شعارات براقة باعتبارهم الممثل للدين الصحيح وأنهم الأحرص على استمراره من غيرهم مما أدى إلى صداع مجتمعي مزمن لازلنا نعاني من توابعه وخصوصًا بعد فشل حل الإسلام السياسي وانكشاف أمرهم فلجأوا إلى تجاوزات أكثر منها التخويف والتكفير والقتل.

وسنركز في تلك الورقة على ثلاثة نماذج لقنوات أثارت جدلاً كبيرًا من خلال برامجها وساعدت على زيادة الفتنة الطائفية بين الدول والشعوب العربية والإسلامية وعي قناة الناس المعروفة بالتوجه السلفي، وقناة الحياة المسيحية التي تركز على مقارنة الإسلام بالمسيحية في أغلب برامجها، وقناة فدك الشيعية التي تساعد برامجها على الفتنة بين السنة والشيعة.

شعارات الإعلام الديني بين المعلن والمستتر:

تعلن معظم القنوات الدينية أنها تهدف لنشر الدين الصحيح وأنها الطريق لإصلاح الدنيا بالدين، ومن ثم فمن يحرص عليها فهو في الجنة ومن يشاهد غيرها هو في النار، ومن ذلك شعار قناة الناس "شاشة تأخذك للجنة" وهذا الشعار بالذات يوضح وجهة نظرهم من أن طريقهم مهما كان فهو الطريق للجنة وشاشات

غيرهم هي الشاشات التي تؤدي إلى النار حتمًا، ويظهر ذلك في كثير من برامجها التي تؤكد امتلاكهم للحقيقة المطلقة وتسييس الدين لخدمة أهداف أخرى سياسية كما ظهر خلال بعض الفترات التي سبقت ثورة ال٣٠ من يونيو في مصر.

ومثال آخر نجده في قناة فدك الشيعية تتخذ شعارًا لها وهو "لا راية تبقى أمام راية آل محمد" ويتضح من هذا الشعار أنها تنطلق من الصراع القديم بين السنة والشيعة وهدفها تبشيري وهو ما يؤكده المؤسسون للقناة حول أهدافها وهي "تنقية التراث الإسلامي من العقائد الفاسدة والأفكار المغلوطة للعودة بالأمة إلى منهاج النبي وخلفائه الشرعيين من عترته (عليهم السلام).

وفي المقابل نجد قناة الحياة المسيحية وشعارها "لتنال الحياة الأبديه اتبع يسوع المسيح" وهي ترسيخ آخر لامتلاك الحقيقة المطلقة، فطريق الخلاص هو طريقهم وطريق الهلاك هو اتباع أي اتجاه أو دين آخر، وهي قناة تتخذ هدفًا لها التبشير بالمسيحية، ومحاولة التركيز على التقليل من الإسلام عن طريق بعض الكتابات والأحداث المتغيرة.

وهكذا تتجه القنوات الثلاثة نفس الاتجاه من امتلاك الحقيقة المطلقة سواء بالدعوة إلى سلفية تاخذك للجنة أو اتباع مجموعة هي التي توصلك للجنة كما في حالة آل البيت أو أن هناك دين واحد هو الصحيح ويحقق الأبدية السعيدة كما في حالة المسيحية التبشيرية.

الإعلام الديني على مواقع التواصل الاجتماعي:

سنقوم برصد وتحليل سريع لما تتضمنه صفحات القنوات الدينية خلال الفترة من ٢٠١١- ٢٠١٤ على المواقع الإلكترونية ومواقع التواصل الاجتماعي وبالأخص على الفيس بوك لما له من تأثير كبير كما في الجدول التالي:

القناة	الصفحة الرسمية على فيس بوك
قناة الناس	https://www.facebook.com/alnasschannel
قناة الحياة	https://www.facebook.com/alhayattvchannel
قناة فدك	https://www.facebook.com/FadakTV313

وأول ما يلفت النظر عند مشاهدة تلك الصفحات هو تعريف الصفحة فنجد قناة الناس تذكر أنها "قناة فضائية دينية، تهدف إلى عرض الإسلام النقي، ونشر الفكر الوسطي، والتصدي للأفكار المتطرفة والهدامة، والمحافظة على منظومة القيم والأخلاق"،

بينما تذكر قناة الحياة أنها: قناة مسيحية هدفها أن يعرف العالم يسوع المسيح وأن يخلصوا"، أما قناة فدك فتذكر أنها "قناة عصرية تخاطب الملايين بلغة علمية موضوعية وبمضمون عقائدي أصيل وجريء لا يعرف المجاملة على حساب الحق".

ويتضح من التعريفات الثلاثة مدى سمو الأهداف المعلنة والتي تجذب الكثيرين للمتابعة ولكن على النقيض تختلف المواد الموجودة بالقنوات الثلاث التي تدعو في أحيان كثيرة للطائفية والتكفير والقتل وفي بعض الأحيان أهداف شخصية لأفراد وجماعات.

وسنعرض فيما يلي لبعض تلك النماذج التي تؤكد بُعد التعريف العام عن التطبيق العملي في حالات كثيرة ومتنوعة ونبدأ بسرد ذلك على التوالي:

قناة الناس:

من متابعتنا لقناة الناس وبالتركيز على المواد الإلكترونية والتسجيلات المتاحة على اليوتيوب وغيرها من القنوات الرقمية تبين وجود الكثير من المواد المحرضة على التكفير سواء للأفراد أو المجتمع بأكمله، ومنها ما جاء في برنامج الأستاذ خالد عبد الله "سهرة خاصة ومداخلة الدكتور حسام عقل من حديث الشماتة في وفاة أحد أعلام التنوير في العالم العربي المفكر الديني الدكتور نصر حامد أبو زيد وتكفيره وحديثه عن هروب الأهالي والمسئولين من حضور جنازة الراحل، وأنه خارج عن الدين وكافر ويطعن في القرآن والسنة النبوية.

وهناك أيضًا عدم تقدير للظروف الراهنة في كثير من البرامج واللعب على أوتار الطائفية كما حدث في أعقاب أحداث ماسبيرو ومظاهرات الأقباط بالقاهرة وهجوم الشيوخ على الأقباط من منظور طائفي وليس وطنيًا.

وهناك أيضًا الهجوم على الدكتور سيد القمني وكان من أشد المهاجمين صفوت حجازي مقدم برنامج فضفضة في قناة الناس ووصفه بأنه (هذا الشيء، أو اللا شيء) ووصفه أيضًا متصل بالقناة في هذا البرنامج بأنه ابن قميئة وغيرها من التشبيهات غير المناسبة.

ويتضح من محاولات التكفير أنها تعطي ضوءًا أخضر للقتل المادي أو القتل المعنوي من الإيذاء والتجريح للأشخاص بين أسرهم وزملائهم في العمل وأصدقائهم في الحياة.

وأيضًا محاولات زج الدين في السياسة كما حدث من الشيخ محمد حسين يعقوب بعد استفتاء ١٩ مارس ٢٠١١ بخصوص غزوة الصناديق وأن الشعب قال نعم للدين وللإسلام وهو تسييس صريح للدين وضد فكرة المواطنة ومدنية الدولة.

كذلك محاولات الشحن ضد المناسبات والاحتفالات الرمزية مثل عيد الأم وحديث الشيخ أبو إسحاق الحويني عن حكم عيد الأم، وأنه بدعة والاحتفال به لا يجوز.

قناة الحياة:

كما ذكرنا من قبل فإن قناة الحياة تذكر في تعريفها أنها: قناة مسيحية هدفها أن يعرف العالم يسوع المسيح وأن يخلصوا، وكان من المنطقي في هذا الإطار أن تركز على الدين المسيحي وعظاته وملامح تنمية إيمان المسيحيين بالرجوع إلى أصول الدين المسيحي المعتدل والإيمان المسيحي والدعوة للاهتمام بدراسة الكتاب المقدس ، ولكن ما يحدث أنها تركز على نهج طائفي من التركيز على اختيار نماذج إسلامية تشجع روح الفتنة الطائفية وإثارة المشاكل بين مواطني الدول الإسلامية وعمل برامج مهمتها انتقاد الدين الإسلامي والرسول محمد وهو ما يساعد على وضع بذور أزمات عديدة لا تنتهي بين المسلمين والمسيحيين.

وقد انتقلت القضايا التي تناقشها قناة الحياة من شاشات الفضائيات إلى مواقع التواصل الاجتماعي، ويظهر من صفحة قناة الحياة على الفيس بوك كم من البانرات أو الشعارات الإعلانية التي تتضمن محتوى من مواد القناة وتساعد على الفتنة الطائفية، ومنها مقارنة بين الله في الإسلام والمسيحية فيذكر منشور على الصفحة "الله في الإسلام يحب الذي يحبه.. الله في المسيحية يحب كل العالم" وهي قضية ما لبثت أن هوجمت بشدة في قنوات إسلامية، ومنشور آخر تحت عنوان مفارقات يقول "كل الرسل في

العهد القديم كانوا يقولون أطيعوا الله ويعطوا كل المجد لله وينكرون أنفسهم.. أما في الإسلام فعليك أن تطيع الله ورسوله، ويشرك القرآن محمد في كل أوامر الطاعة"، كما يتحدثون في منشورات أخرى عن تناقضات القرآن وقضية الناسخ والمنسوخ وغيرها من القضايا الخلافية، ويتضح من سياق المنشورات اجتزاء واضح وصريح دون مراعاة سياقات الأديان والرسالات السماوية.

إلا أن أخطر ما في قضية الانتقاد الديني هو الربط بين قضايا معاصرة وجماعات إرهابية تحركها جهات دولية ومنظمات ورءوس أموال وبين الفتوحات الإسلامية، ففي منشور على الصفحة يذكر "داعش تعطينا صورة معاصرة للفتوحات الإسلامية" وهو يعطي ذريعة لاتهام دين بأنه دين العنف والإرهاب وهو شيء مرفوض.

ويظهر أيضا من برامج القناة ادعاء امتلاك الحقيقة المطلقة في إعلان منشور على الصفحة يذكر "يسوع المسيح .. هو الطريق الوحيد للسماء" وهو مشابه لبعض الاتجاهات المتطرفة في الدين الإسلامي من احتكار الجنة للمسلمين.

قناة فدك:

تعد قناة فدك من أبرز القنوات الشيعية التي تسبب العديد من المشاكل داخل الدول العربية ومؤسسها هو ياسر الحبيب وهو ينتمي للشيعة الإمامية الإثني عشرية أو الرافضة، وهم فرقة تمسكت بحق عليّ في وراثة الخلافة دون أبي بكر وعمر بن الخطاب وعثمان، وهم يتخذون اثني عشر إمامًا، ويعتقدون أن كل الأئمة معصومون عن الخطأ والنسيان، وعن اقتراف الكبائر والصغائر، كما يعتقدون بدخول آخرهم، وهو الحسن العسكري، ويلقبونه بالحجة المهدي القائم المنتظر، وسيعود في آخر الزمان عندما يأذن الله له بالخروج، وهم يقولون بأنه حين عودته سيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جورًا وظلمًا، وسيقتص من خصوم الشيعة على مدار التاريخ.

وعلى الرغم من الأهداف المعلنة للقناة من أنها خطوة إعلامية شيعية ثورية تأتي استجابة لإلحاح جماهيري على ضرورة تأسيس قناة عصرية تخاطب الملايين بلغة علمية موضوعية وبمضمون عقائدي أصيل وجريء لا يعرف المجاملة على حساب الحق، إلا أن الملاحظ أن التركيز يكاد يكون على قضايا الخلاف مع السنة وسب الصحابة وأمهات المؤمنين وهم ركن أساسي في الاعتقاد الديني لدى

المجتمعات الإسلامية السنية ويساعد ذلك على بث روح الفتنة الطائفية ومن ثم الاقتتال داخل الدول وبين الدول وبعضها.

ويظهر في كثير من برامج القناة التطاول بصورة صريحة على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمهات المؤمنين، خاصة السيدة عائشة والسيدة حفصة، كما أشعل مواقع التواصل الاجتماعي، مقطع فيديو تُعلن فيه فتاتان مصريتان من مدينة الزقازيق، بمحافظة الشرقية، تشيعهما عبر القناة مما زاد من الهجوم على القناة من السنة.

ومن أبرز المنشورات التي تضعها صفحة القناة الحديث عن هلاك عمر بن الخطاب وقولهم بأنه في النار، ومن المعروف أن عمر بن الخطاب من أبرز النماذج الإسلامية لدى أهل السنة.

كما تدخل في برامج القناة تسييس للدين في قضايا ومشكلات حالية بين الدول كما في حالة إيران والسعودية، وعند وفاة ملك السعودية الراحل عبد الله بن عبد العزيز أذاعت قناة فدك بث مباشر لاستقبال المؤمنين – حسب وصفهم – لتقديم التهاني والتبريكات بمناسبة وفاة الملك، ومثل تلك التصرفات الإعلامية تساعد على زيادة روح العداء المستمر بين الدول والشعوب ومن ثم إلى الحروب والاقتتال، ولعل نماذج ما يحدث باليمن يشير إلى ذلك.

وفي النهاية ينبغي التأكيد على أنه لا بد من توظيف أدوات تكنولوجيا المعلومات والإعلام الجديد لخدمة القضايا القومية وتحقيق القوة الحضارية للعرب في ظل المتغيرات المحلية والعربية والإقليمية والدولية ومن خلال التسويق الإلكتروني الاستفادة من مئات الملايين من المستخدمين الذين يتصلون بشبكة الإنترنت يوميًا من جميع أنحاء العالم، ومن هذا المنطلق يمكننا استغلال تلك الفرصة وتحويل الإنترنت إلى ساحة مفتوحة للحوار؛ وتتمثل أدوات التسويق الإلكتروني في استغلال محركات البحث، وعضوية المواقع والبريد الإلكتروني وبرامج المشاركة، وكذلك وهي الأهم الشبكات الاجتماعية، في الربط والاتصال مع الناس، ووسيلة للربط والوحدة في ظل التنوع، فنحن لدينا فرصة ذهبية وهي تواجد الشباب بصورة كبيرة على الإنترنت وهم طاقة يمكن استغلالها بصورة جيدة ليشكلوا حائط صد ضد كل محاولات التشتيت والتفرقة بعيدًا عن قضايا الأمة الحقيقة والمصيرية.